مقدمة

في بدايات الألفية الثالثة رصد المحللون والمتابعون للفكر التكفيري كتابا بعنوان « إدارة التوحش » لشخص يدعي أبو بكر ناجي ، وذلك علي العديد من المواقع الإلكترونية المعروفة بارتباطها ارتباطا فكريا أو تنظيميا بالمجموعات التكفيرية المعروفة علي الساحتين المحلية والعالمية ، وقد انتشر هذا الكتاب إنتشارا كبيرا بعد ذلك ، وأصبحت الأفكار الواردة فيه من أدبيات الفكر التكفيري من ناحيتي التطبيق العملى المرحلي وآليات التنفيذ .

وقد تزامن هذا الكتاب مع التحولات الفكرية الإستيراتيجية التي شهدتها الحركات التكفيرية من محاربة العدو البعيد (أمريكا والغرب) ، وذلك ليعيد التكفيريين إلي القاعدة الأولي والأساسية وهي محاربة العدو القريب المتمثل في حكام دول المسلمين ومعاونيهم من الجيش والشرطة والجهاز الإداري للدولة .

تقوم الفكرة الرئيسية في الكتاب علي التفرقة بين المسلمين المخالفين للفكر التكفيري بوصفهم « كفار مرتدين » ، لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله سواء كانوا حكاما أم أعوانا للحكام من أجهزة الدولة أو من يرضى مقتنعا بهذا الحكم ويندمج فى آلياته ، وبين غير المسلمين بوصفهم « كفار أصليين »كما يقوم على التفرقة بين هذه المجموعات التكفيرية وبين نظيراتها المختلفه عنها تنظيميا بإستحداث مصطلح آخر وهو «المجاورين » وليس هناك تفرقة كبيرة عمليا بين الفريقين فى نظر هذه المجموعة التكفيرية

ثم تتوالى النتائج :-

فالكافر الأصلي تجوز الهدنة معه بينما لا تجوز الهدنة مع الكافر المرتد .

والكافر الأصلي هو العدو البعيد ، بينما الكافر المرتد هو العدو القريب لأنه

يحكم في بلاد المسلمين ، والأولوية لقتاله بالطبع لا لقتال الكافر الأصلي .

والكاتب في سبيل ذلك لا يكترث بأى شيئ.

فهو لا يحفل بالتأسيسات الفقهية التي اصطلح علي تسميتها بالعلوم الشرعية ، كما لا يهتم بضوابط التكفير المعروفة في الفقه السلفي عامة ، ولا يلقي بالا لتعارض ما يقول مع الولاء والبراء باعتبار أن هذه الأفكار سوف تؤدي إلي استعلاء غير المسلم علي المسلم يقينا ، ثم يقوم الكاتب بعد ذلك بإنزال هذه النتائج إلي أرض الواقع حيث يتصور معركة كبرى بين المسلمين الحقيقيين وهم المنتمين فرقته « فكرا وتنظيما » وبين الكفار المرتدين وكذلك البغاة المجاورين وهم غيرهم من المسلمين ، ثم يتصورها معركة شاملة لا تبقي ولا تذر حيث تجر الشعوب كلها إلي الموت في معارك لم تشهد لها البشرية مثيلا من قبل لا بين غير المسلمين ولا بين المسلمين وغيرهم ، فما بالك أنها بين المسلمين وبعضهم البعض !!!!

وما دفعنا إلي كتابة نقد وتحليل لهذا الكتاب هو ما نلاحظه من ندرة الكتابات التي تعني بالرد على الفكر التكفيري وتأسيساته لتبين للناس مدي تهافته ، والاكتفاء ببعض العبارات البراقة عن أن هذا الفكر يضر بالمجتمعات أكثر ما ينفع، وأن المصلحة والمفسدة هما تحكمان جدوى الخروج علي الحاكم ، بل أن التكفيرين أنفسهم يسندون بعض أقوالهم وأدبياتهم إلي بعض التأسيسات الفقهية التي درج عليها السلفيون ، حتى يظهر للعامة أنهما يأخذان من ذات الوعاء ، ومما يزيد الأمر سوء إعتقاد بعض الدعاه أنهم غير قادرين على مناقشة الفكر التكفيرى وأن مناقشته على الملأ سوف تؤدى إلى بلبلة الناس والوقوع فى الفتن !!.

و للتدليل على ذلك فإن أحد المحللين[1] المهتمين بهذا المجال قد قال في احدي الحلقات المتلفزة ، أن السعودية لن تستطيع بحال الدخول فى حرب برية ضد تنظيم داعش ،لأنها إن فعلت ذلك فإن نصف جيشها سيهرب والنصف الآخر

(١) الكاتب الصحفي عبد الباري عطوان.

سينضم إلي داعش ضد دولته !!!

وبالرغم من مرارة هذا التصريح إلا أننا نجد له ما يبرره في الحقيقة ، فداعش تطبق الفكر الوهابى الذى نشأ فى الحجاز، وخرج منها بفعل المال الخليجى إلى كافة أسقاع الأرض ، ثم أصبح عصيا على التوجيه بعد ذلك ، وقد قيل أن الفارق الوحيد يكمن فى أن الوهابيين يكتفون بذكر هذه الأفكار وترويجها فى الكتب والندوات بينما داعش تنزلها إلى مجال التطبيق العملى !! .

ويقوم البحث في هذا الكتاب علي تتبع الأفكار الرئيسية في كتاب إدارة التوحش لأبو بكر ناجي نقدا وتحليلا وردا من الناحيتين السياسية والشرعية ، حتى ليبدو هذا الكتاب أنه من الكتب التي تمثل صراعا بين فريقين من الأفكار ، أفكار الكتاب محل النقد والدراسة ، والأفكار التي ترد عليها ليرتد للقارئ حقه في التقييم لهذا الصراع الفكري ، لاقتناعنا بأن الفكر يواجه بالفكر أساسا ، وإن كان بغيره عند الضرورة !!

وبالرغم من أن الكاتب لم يتوخي منهج البحث العلمي في تأليف كتابه وما يستلزمه من تبويب وتنظيم وتناسق بين فصوله ومباحثه ، إلا أننا واحتراما لأصول النقد والتحليل مضطرون إلي السير بذات الطريقة حتى يمكن نقد وتحليل هذه الأفكار تحليلا صادقا .

إطلالة على هوية الكاتب

نكاد نتلمس من بين ثنايا الموضوعات والمعلومات التي وردت فى ذلك الكتاب أن المسيطر علي كتابته هو مؤلف مصري ، أو بالأقل مهتم بالشأن المصري وبالمجموعات الدينية السياسية التي ظهرت بمصر منذ سبعينيات القرن الماضى مثل الجهاد والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة وغيرها ، كذلك من المقالات التي تنسب له علي بعض المواقع الإلكترونية وجل ما فيها هو الاهتمام بالشأن المصري . ومن المرجح أن ذلك الكتاب قد كتب علي فترات متباعدة ، ولم يكتب كمشروع فكري يتفرغ لكتابته أحد الأشخاص أو احدي المجموعات ، ، يتضح ذلك جليا من غياب التماسك العضوي بين أجزائه ومضمونه ، ومن تكرار بعض الأفكار والمعلومات ومن عدم وجود تقسيم مناسب لموضوعاته ، بحيث يبدو للقارئ أنه كلما طرأت للمؤلف فكرة صاغها وضمها للكتاب ...

وقد اختار من ألف الكتاب « شخصا كان أم مجموعة » اسما وهميا هو (أبي بكر ناجي) ولم يكن هذا الاسم حسب علمنا لأى من قادة ومفكري ومنظرى المجموعات الدينية السياسية .

وربما جاء اختياره لإسم «أبي بكر» تقديرا لدورأبى بكر الصديق في خدمة الإسلام ،و مع ما لهذا الإسم من تقدير عند المسلمين السنة ، فضلا عما يحمله من معانى السبق والإقتداء ، رغما من أنه أشار إليه أكثر من مرة للتدليل على واقعة معينه وهى حرقه لإياس بن الفجاءة ، والغريب أن جل كتب السيرة التى تعرضت لهذا الموضوع قد نسبت لأبى بكرالصديق أنه ندم عليها ويذكرها أبو بكر ناجى علي أنها واقعة جديدة بالاقتداء !! بل كررها أكثر من مرة فى كتابه، كما تطبقها المجموعات التكفيرية مع الأسرى الآن !!

أما إختياره لاسم «ناجى» فلربما للإيحاء بأن هذا هو طريق النجاه .

والكتاب محل النقد هو من الكتب مجهولة الكاتب .

و لا شك لدينا فى أن ظاهرة الكتب مجهولة النسب ترجع إلى أحد ثلاثة أسباب :-

- إما أن تكون موغلة في التاريخ بحيث لم يتم التثبت ممن حررها وهو أمر مستبعد في موضوعنا ذلك لحداثة المعلومات الواردة في هذا الكتاب .
- إما لخطورة ما جاء به من أفكار فخشي المؤلف علي نفسه أو علي أفكاره من الفشل أو من آثارها الكارثية ولا يريد أن يتحمل نتائج هذا الفشل الفكري فيعهد إلي التعمية علي شخصيته .
- وإما لأن ذلك الكتاب من وضع مجموعة معادية أرادت أن تنفر الناس من الفرقة أو المجموعة التي كتبت هذا الكتاب علي لسان أحد مفكريها !!

ويبدو من تتبع الاسم علي المواقع الإلكترونية أن هذا الشخص أو الجهة تتعمد التعمية على حقيقتها ، ونحن نعلم صعوبة التحقق من شخصية من يدون آرائه علي الإنترنت ، فقد يكون علي غير ملة الإسلام ويكتب في الإسلام كأحد من أهله محاولا نقضه ، وقد يكون من أهل السنة فيكتب سبا في الصحابة علي أنه شيعي لايغار صدور أهل السنة علي أهل الشيعة ، أو شيعيا فيقدح فى على ﷺ، وقد رأينا ذلك كثيرا .

والبعض يقول أن كاتب ذلك الكتاب هو « سيف العدل المصرى »و هو قائد عسكرى بتنظيم القاعدة وكان فى مقتبل حياته ضابطا بالجيش المصرى انتقل إلى أفغانستان لقتال الروس فى الثمانينيات أثناء الغزو السوفييتى لأفغانستان .

أما الرأى الأقرب إلى الحقيقة فيعتبر أن كاتب ذلك الكتاب هو المصرى «محمد خليل الحكايمة » ، أحد المفرج عنهم فى حادث إغتيال الرئيس الراحل أنور السادات ، وقد عمل فترة طويلة بالإذاعة الإيرانية بحسب ما جاء على لسان

الشيخ سيد إمام الذى يعد من أهم منظرى تنظيم القاعدة على إحدى القنوات الفضائية ،

وقد ورد علي لسان المؤلف في هذا الكتاب عدة إشارات ربما تفيد ميوله الشيعية ، منها مثلا ما يفيد إتباعه التقية في حديثه، وأمره باتباعها لغيره في بعض المواضع من كتابه مثل قوله :

« وينبغي أن تصل هذه البيانات لكل الناس ، ولا تقتصر علي النخبة وينبغي أن تشمل أغلب البيانات أهدافنا العامة المقبولة عند الناس ، حتى بدون عبارات صريحة » (ص ٤٨).

وكذلك عدم اهتمامه بإسناد الأقوال التي يسوقها لأصحابه الحقيقيين مثل قوله:

« قال أحد الصادقين من الدعاه » (ص ٧٦).

« وهذا القول لأحد المشايخ » (ص ٨٨).

وإهمال الإسناد نجده واضحا في كتابات الشيعة علي ذات المنوال الذي ورد في هذا الكتاب .

ويتضح الوجه التكفيري وما يحمله من محاولة تدمير كل دول ومجتمعات المسلمين بذريعة أنها لا تحكم بما أنزل الله من بعض العبارات التي وردت في كتابه ومنها :

قلت له : إن كنت تقصد سياسة « الأرض المحروقة » إن من منهج جماعات الجهاد أن تجعل من لم تقابل معها اختيارا من الحركات يقاتل اضطرارا ، فذلك صحيح وسنري في وقت ما الحركات والشعوب في أرض المعركة سواء أرادو أم لا . (ص٥٨) .

نقصد بالاستقطاب هنا هو حجر الشعوب إلي المعركة بحيث يحدث بين الناس – كل الناس – استقطاب فيذهب فريق منهم إلي جانب أهل الحق

وفريق إلي جانب أهل الباطن (ص ٤٦).

حجر الشعوب إلي المعركة يتطلب مزيدا من الأعمال التي تشكل المواجهة والتي تجعل الناس تدخل المعركة شاءت أم أبت بحيث يثوب كل فرد إلي الجانب الذي يستحق ، وعلينا أن نجعل هذه المعركة شديدة بحيث يكون الموت أقرب شيئ إلي النفوس ، بحيث يدرك الفريقان أن خوض هذه المعركة يؤدي في الغالب إلي الموت (ص ٤٦) .

الكلام علي المنبر سهل ، وفي الصحف سهل ، وفي الكتب أسهل وأسهل ، أما أن يهدم البيت وتشرد الأسرة وتمزق الأم والأخت إلي أشلاء فذلك لا يقدر عليه إلا الأفذاذ من الرجال والقيادات العظيمة والجنود الأشداء لا يخرجون إلا في مثل هذا الجو . (ص ٦٠).

لم يستجب الناس لرسول الله ولم يحصل علي كثرة ولكن لما دعاهم مع هؤلاء القلة والسيوف خارج أعمادها استجابوا !! (ص ٧٦).

أي أن الإسلام ما انتشر إلا بالسيف وليس بالدعوة المجردة وهذه المزاعم هى ذات المزاعم التى يثيرها بعض المستشرقين .

علينا جر الجميع إلي المعركة ليحي من حي علي بينة ويهلك من هلك علي بينة ، علينا أن نجر الجميع ، الحركات والشعوب والأحزاب إلي المعركة ونقلب الطاولة فوق رؤوس الجميع ونحرق الأرض تحت أقدام الطغاه (ص ٧٧).

وعلي نقيض هذا البأس الشديد الذي يعتبره في معاملة مجتمعات المسلمين نجده رحيما علي الغرب رحمة الأم الرءوم فيقول :

« هذا مع تحفظنا على مشروعية مفاوضة المرتد أصلا خاصة تلك التى تفضى إلى إقراره وتركه على ردته » (ص ٨٤).

ونتيجة ذلك أن بلاد المسلمين ستصبح مرتعا للفوضي والحروب الأهلية بينما الغرب في استقرار وسعادة اجتماعية لا ينغصها مثل هذا الرجل وأتباعه فهم مشغولون بالحرب في بلاد المسلمين !!

على مستوى عنوان الكتاب

عبارة « إدارة التوحش » التى إختارها الكاتب عنوانا لكتابه تثير أكثر من تساؤل بدء من غرابة المصطلح وكونه غير مستعمل في الفكر الإسلامى بحسبان أن له أكثر نظير عند المفكرين والفقهاء المسلمين

فقد كان يمكن تسمية الكتاب بـ « إدارة الفتن » أو بـ « إدارة الهرج » وهي مصطلحات لها جذور عند المفكرين المسلمين ، كما أن كل ما في الكتاب يدور حولها « الفتن والهرج » لكن الكاتب قد ترك هذه المصطلحات ، ، ولجأ إلي التعمية باستعمال مصطلح غربي وهو إدارة التوحش للتعبير عن الحالة المزرية التي ستصل إليها مجتمعات المسلمين إذا وصلت أفكاره إلي منتهاها بالتنفيذ الحرفي لها ، حيث ستتحول هذه المجتمعات إلي غابة يأكل الكل فيها الكل وتساق الشعوب كلها إلي الموت !!! هذا بحسب نص كلامه(ص ٤٦) :

والكاتب بنفسه يحاول أن يبرر هذه التسمية في الصفحة الثانية عشر من كتابه فيقول :

«لماذا أطلقنا عليها إدارة التوحش أو إدارة الفوضي المتوحشة ولم نطلق عليها إدارة الفوضي ؟».

فالكاتب هنا يبرر الاسم بأن مصطلح الفوضى لا يعبر بدقة عن مضمون ما يرومه ، إذا يجب إضافة التوحش إلي الفوضى لتصبح إدارة التوحش أو إدارة الفوضى المتوحشة .

ولا يخفي عن أن تعبير مصطلح الفوضى المتوحشة يتصل بمصطلح آخر أطلت علينا به وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كوندليزا رايس وهو مصطلح الفوضى الخلاقة في حديث صحفي أجرته مع صحيفة واشنطن بوست ذات

الصلات الجبارة بالمسئولين الأمريكيين في مطلع عام ٢٠٠٥ ، إذا أعربت عن نيتها في نشر الديمقراطية في العالم العربي والبدء بتشكيل « الشرق الأوسط الجديد» عبر نشر الفوضى الخلاقة في الشرق الأوسط عبر الإدارة الأمريكية .

فالمصطلحات وكأنها حبات متوالية فى عقد واحد ،،

فإدارة التوحش تصل بك إلي إدارة الفوضى المتوحشة ،

وإدارة الفوضى المتوحشة تصلك إلي الفوضى الخلاقة

والفوضى الخلاقة تصل بك إلي الشرق الأوسط الجديد ،

والشرق الأوسط الجديد هو ذاته الشرق الأوسط الكبير الذي نادي به الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز أحد القادة التاريخيين للصهيونية العالمية ...